الفصل الثالث عشر

الفصل الثالث عشر
دور الإسلام
في حماية الأطفال من العنف

أهتم الإسلام اهتماما برعاية الأبناء من أجل إخراجهم إلى الحياة عناصر سليمة صالحة، تخدم الحياة وتبنيها بناءً ثابتاً متيناً لا يتزلزل أمام أية عاصفة. وهذا لا شك يدعونا إلى التفكير بجدية في طريقة التعامل معهم منذ بداية تحركهم في هذه الحياة فنتعهدهم بالرعاية الكافية لتحويلهم إلى عناصر تبني الحياة، ونتقدم بها نحو الأفضل بالأسلوب الذي أراده الله سبحانه. ولتحقيق هذا الهدف لابد من اعتماد منهج تربوي لا يقوم فقط على إعطاء الأوامر والتعليمات لتوجيههم، فذلك لا يعطي وحده أثره الطبيعي المطلوب، ولاسيما حين يصل الطفل إلى مرحلة من الوعي والتفتح الذهني، لأن الأب ليس هو العامل الوحيد الذي يؤثر في الطفل، ويصوغ شخصيته، بل أن هناك عوامل أخرى متعددة، من غرائزه وشهواته ومتطلباته التي تتحكم بواقعه وإرادته وتكوين أهدافه، وكذلك الكلمات التي يأخذها عن والديه وعن الناس، وكذلك الزملاء الذين يختلفون في تربيتهم وفكرهم ومزاجهم وما اكتسبوه من عادات وتقاليد وأعراف، ومن المدرسة والشارع والمجتمع إلى غير ذلك مما يعمل في طبع عقلية الطفل وعاداته.

ومن ثم، ينبغي على الولي من اعتماد منهج متوازن يبدأ من إعطائه المثل الصالح، بتركيزه من خلال المنهج الذي يعتمده الولي في الحياة، فلا يمارس بعض الأساليب التي ينهاه عنها حين ينهاه عن الكذب، ويكذب معه، ويمنعه من الألفاظ الفاحشة البذيئة ويطلقها أمامه، وعن الخيانة ويخون، وعن الظلم ويظلم، وأمثال ذلك يرتد سلبا على أسلوب الطفل، فيتحول إلى منافق كبير. ولابد له أيضاً من التدخل لاختيار الرفقة ليكونوا ممن عاش تربية أخلاقية سليمة، واختيار المدرسة، بل والكلام الذي يلقيه عليه، وما إلى ذلك مما له تأثير كبير في تكوين منهجه وعقليته وتفكيره وأسلوبه.

ومهما تعددت المناهج التربوية في تربية الطفل؛ فلن نجد منهجا تربويا متوازنا – من وجهة نظرنا – أولى رعاية كاملة شاملة لرعاية الطفل مثلما أشار إليها الإسلام والسنة النبوية. وفيما يلي نقتفي أثر هذا في ضوء السنة النبوية. فتتلخص رعاية السنة النبوية للطفل قبل الولادة فيما يلي:

أولاً: حسن اختيار الأب والأم:

لقد وضعت السنة المطهرة تشريعها السامي أمام كل من الخاطب والمخطوبة جملة من القواعد والأحكام إن اهتدى بهديها حققوا لأنفسهم ولأولادهم السعادة والأمن والاستقرار.

وتتلخص هذه القواعد في أن يتم الاختيار وفقا للأسس التالية[1]:

١- على أساس الدين والخلق.
٢- على أساس سلامة البدن والنفس.
٣- على أساس الأصل والشرف.

[١] الدين والخلق:

حثت السنة المطهرة الأب أن يختار الأم ذات الدين لتكون وعاء صالحا لأولادها، عن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك"[2]. وفيه الحث على مصالحة أهل الدين في كل شيء لأن صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركتهم وحسن طرائفهم ويأمن المفسدة من جهتهم.

ورغبت السنة أعظم الترغيب في الاقتران بالمرأة الصالحة ذات الدين مبينة

---

(1) بدير، بدير محمد (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، الطبعة الثانية، القاهرة: مطابع ابن تيمية، ص ص ٢١-٢٢.

(2) أخرجه البخاري في النكاح ١٢٣/٦ باب ١٥ الأكفاء في الدين، وأخرجه مسلم في الرضاع ١٠٨٦/٢ باب ١٥ استحباب نكاح ذات الدين.

أنها خير متاع الدنيا، وخير كنز يدخره المرء، وضمن أمور أربعة لو تحققت للمرء لأصاب خير الدارين، وخير ما يستفاد بعد تقوى الله عز وجل ولأنها من علامات السعادة للأهل والجيران وللمجتمع وللإنسانية جمعاء.

وعن سعد بن أبي وقاص (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة"[1]. وتؤيد الكثير من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية إنه إذا تم اختيار الزوج لزوجته على أساس الدين والخلق والصلاح جنب الزوج أطفاله الكثير من الصفات والأخلاق المذمومة التي يتعلمها الطفل من أمه ويتصف بها فيما بعد. والذي لا يمكن إنكاره واقعيا أن الزوجة غير ذات الدين تصبغ بيتها وأطفالها بصفتها وتخرج جيلا أبعد ما يكون عن الإسلام.

ومن ثم، أرشد النبي (ﷺ) راغبي الزواج أن يظفروا بذات الدين، لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حق الزوج وأداء حق الأولاد، وأداء حق البيت على النحو الذي أمر به الإسلام، وحض عليه الرسول (ﷺ)[2]. كما أرشد النبي (ﷺ) أولياء المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق، يقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، وأداء حقوق الزوجية، وتربية الأولاد، والقوامة الصحية في الغيرة على الشرف، وتأمين حاجات البيت بالبذل والعطاء والإنفاق.

فعن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"[3]. وأي فتنة أعظم على الدين

---

(1) أخرجه أحمد في المسند ١٦٨/١، والحاكم في المستدرك ١٤٤/٢ وصححه الحاكم والذهبي.

(2) علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٣). **تربية الأولاد في الإسلام**، حلب: دار السلام، ص ص ٤٠-٤١.

(3) أخرجه الترمذي في النكاح ٣٩٥/١ باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه ابن ماجه في النكاح ٦٣٣/١ باب ٤٦ الأكفاء.

والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة بين براثن خاطب متحلل، لا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزناً ولا اعتبار، وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر يكرهها على السفور والاختلاط، ويجبرها على احتساء الخمر أو مراقصة الرجال.

ومما لا شك فيه أن الأبناء حين ينشأون في مثل هذا البيت المتحلل الماجن الآثم سينشأون، لا محالة على الانحراف والإباحية، ويتربون على الفساد والمنكر.

فإذا تم اختيار الزوج على أساس من الخلق والدين تأسس البيت المسلم على التقوى من أول يوم وتصبح الآداب الإسلامية والمبادئ الربانية هي الضابط والموجه لخطوات بناء هذا البيت، إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة، وللأولاد تربيتهم الفاضلة، وللأسرة شرفها الثابت واستقرارها المنشود[1].

[٢] سلامة البدن والنفس:

قال عمر (رضي الله عنه): "أيما رجل تزوج امرأة وبها جنون أو جذام أو برص، فمسها فلها صداقها كاملا وذلك لزوجها غرم على وليها"[2]. وكذلك إذا كان العيب في الزوج لحديث ابن مسعود: "يؤجل العنين[3] سنة فإن جامع، وإلا فرق بينهما"[4]. ويفسخ النكاح أيضاً بكل داء عضال ويدخل ذلك في السل والزهري والإيدز وكل ما

---

(1) بدير، بدير محمد (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، الطبعة الثانية، القاهرة: مطابع أن تيمية. ص ص ٢٤-٢٥.

(2) أخرجه مالك في الموطأ ٥٢٦/٢ في النكاح باب ٣ ما جاء في الصداق، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه في النكاح ٢١٢/١ باب من يتزوج أمرأة مجذومة.

(3) العنين: العنة عجز يصيب الرجل فلا يقدر على الجماع، المعجم الوسيط ٦٣٣/٢.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٠٦/٤ وصححه الألباني في إرواء العليل ٣٢٤/٦.

من شأنه أن يعدي والمصابون بالأمراض النفسية الخطيرة لأن الأولاد ثمرة الزواج وربما تنتقل بعض الأمراض إلى الأولاد عن طريق العدوى أو عن طريق المحاكاة والتعايش.

وعليه، فإن الإسلام اهتم بالأسرة وبالأساس الأول لتكوين الأسرة ألا وهو اختيار الزوج والزوجة ومن شروطهما كما سبق سلامة النفس والبدن فسلامة الزوجين تضمن بإذن الله تعالى أسرة سليمة خالية من الأمراض لأن هناك أمراض كثيرة معدية يمكن أن تنتقل من الآباء إلى الأبناء وبالتالي تكون النتيجة أسرة مريضة تؤثر في الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع الكبير[1].

[٣] الشرف والأصل:

من القواعد التي وضعها الإسلام في اختيار أحد الزوجين للآخر، أن شريك الحياة من أسرة عريقة عرفت بالصلاح والخلق وأصالة الشرف، لكون الناس معادن يتفاوتون فيما بينهم وضاعة وشرفا ويتفاضلون فسادا وصلاحا[2].

ولقد نوه النبي (ﷺ) في أن الناس معادن، وإنهم يتفاوتون في الوضاعة والشرف والخير والشر لقوله في الحديث الذي رواه أبي هريرة (رضي الله عنه): "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"[3]، لهذا حض النبي (ﷺ) كل راغب في الزواج أن يكون الانتقاء على أساس الأصالة والشرف والصلاح والطيب.

---

(1) محمود، علي عبد الحليم (١٩٩٢). **تربية الناشئ المسلم**، المنصورة: دار الوفاء، ص ٢٥.

(2) علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٣). **تربية الأولاد في الإسلام**، حلب: دار السلام، ص ص ٤٢-٤٣.

(3) أخرجه مسلم في البر والصلة ٢٠٣١/٣ باب ٤٩ الأزواج جنود مجندة، والبخاري في الأنبياء ١٢٢/٢ باب ١٩ قول الله تعالى "لقد كان في يوسف" [إلا أن رواية البخاري ليس فيها (كمعادن الذهب والفضة)].

فعن عائشة رضي الله عنها: "تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء"[1] فهذه الأحاديث ترشد راغبي الزواج إلى أن يختاروا زوجات ترعرعن في بيئة صالحة ونشأت في بيت عريق عرف بالشرف والطيب وتناسلن من نطفة انحدرت من أصل كريم.

فالطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة فعندما يكون انتقاء الزوج أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح لا شك أن الأولاد ينشأون على خير ما ينشأون من العفة والطهر والاستقامة فعلى راغبي الزواج أن يحسنوا الاختيار إن أرادوا أن تكون لهم ذرية صالحة وسلالة طاهرة وأبناء مؤمنون وبنات مؤمنات وهذا حتى يجتمع في الولد عامل الوراثة الصالحة، وعامل التربية الفاضلة، وعندما يتم هذا يصل الولد إلى القمة في الدين والأخلاق، ويكون مضرب المثل في التقوى والفضيلة وحسن المعاملة والخلق الحسن.

ثانياً: الالتزام بآداب الجماع:

آداب الجماع في السنة المطهرة ثلاثة[2]:

[١] استحضار النية:

النية: مقصد الفعل ابتغاء وجه الله وامتثالا لأمره. وأن ينويا بنكاحهما إعفاف نفسيهما، عن عمر بن الخطاب (ﷺ) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.."[3]. وعن أبي ذر (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: ".. وفي بعض أحدكم صدقة، قال يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون لها فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٦٣/٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٦/٣-٥٧.

(2) بدير، بدير محمد (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، الطبعة الثانية، القاهرة: مطابع ابن تيمية، ص ص ٢٧-٣٣.

(3) أخرجه البخاري في بدء الوحي ٢/١ باب ١ كيف بدء الوحي؟

وضعها في الحلال كان له أجر"[1].

وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات والجماع يكون عبادة وإذا نوى به قضاء حق الزوجة، ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح أو إعفاف نفسه وإعفاف الزوجة ومنعهما جميعا من النظر إلى حرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة.

قال الله عز وجل: ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فالمباشرة لا تكون لمجرد شهوة بل يبتغي بها ما كتب الله لهم في الأجر، والولد الذي يخرج من أصلابهم يعبد الله ولا يشرك به شيئا.

[٢] التسمية:

قال رسول الله (ﷺ): "كل كلام لا يبدأ في أوله بذكر الله فهو أبتر"[2]. عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال النبي (ﷺ): "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا"[3].

[٣] الاستتار:

قال رسول الله (ﷺ): "إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردان تجرد العيرين"[4]. وبذلك يظهر لكل عقلية سليمة واعية امتياز السنة بالتستر ليرقى

---

(1) أخرجه مسلم في الزكاة في ٦٩٧/١-٦٩٨ باب ١٦ اسم الصداقة وذكره مطولا، وأخرجه أحمد في المسند ١٦٧/٥.

(2) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص ١٥٧ مرسلا عن الزهري عن رسول الله (ﷺ)، قال الدراقطني في سننه ٢٢٩/١ كتاب الصلاة: المرسل عن الزهري عن النبي (ﷺ) هو الصواب.

(3) أخرجه البخاري في التوحيد ١٧٠/٨ باب ١٣ السؤال بأسماء الله تعالى، ومسلم في النكاح ١٠٥٨/٢ باب ١٨ ما يستحب أن يقوله عند الجماع.

(4) أخرجه عبد الرازق في المصنف ١٩٤/٦، وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه ٤٠٢/٤، وهو مرسل عن أبي قلابة عن النبي (ﷺ) وهو الصواب، كما قال الدراقطني في العلل الواردة في الأحاديث ١١٠/٥.

بالإنسان عن مستوى الحيوان ويكفل له معنى الكرامة، ويحقق له معنى قيمة الإنسان ويوضح للإنسان قيمة نفسه.

ومن ثم فقد أحاطت السنة طلب الولد بسياج رفيع من السلوك والقيم قد حددت أسلوبا خاصا في اللقاءات الزوجية بما يبني ويبعد العلاقات عن السلوك البهيمي ويضعها في موضعها الإنساني الكريم الرفيع المتزن، ولا شك أن الولد الذي سينحدر في هذا الجو الإيماني الرباني سيكون ولدا مباركا طيبا إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: تحريم الزنا:

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢]. وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: لما نزلت آية الملاعنة قال النبي (ﷺ): "أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته"[1]. فجريمة الزنا من أبشع الجرائم التي ترتكب ضد الشرف والأخلاق والفضيلة والكرامة وتؤدي إلى تقويض بناء المجتمع وتفتيت الأسرة واختلاط الأنساب وقطع العلاقات الزوجية، ويسوء تربية الأولاد بل تفضي إلى ضياع الطفل فإن ولد الزنا ليس له أماً، والأم بمفردها لا تستطيع تربيته والقيام بشئونه لقصور يدها فيشب على أسوأ الأحوال، ويصير عضوا فاسدا في جسد المجتمع الإنساني ينشر الحقد والبغضاء، ويبث الفساد وذلك لأنه ثمرة جريمة أصلا ويعتبر من أخطر أمور الحياة كلها بل أشدها.

والزنا يدنس الأسرة وشرفها ويلحق العار بالأهل الأبرياء بلا ذنب ثم الجناية على الجنين الذي قد يولد من طريق الزنا، ويأتي ثمرة هذه الجريمة فيتعرض للقتل

---

(1) أخرجه أبو داود في الطلاق ٦٩٥/٢ باب ٢٩ التغليظ في الانتفاء، وأخرجه النسائي في الطلاق ١٧٩/٦ باب ٤٧ التغليظ، وأخرجه الشافعي في مسنده ص ٢٥٨ في كتاب الظهار واللعان، والحاكم في المستدرك ٢٠٣/٢ وصححه الحاكم والذهبي، وصحح في شرح البغوي ٢٧١/٩.

وإن عاش فالضياع والفساد والعار ملازم له طوال حياته واحتقار المجتمع له ونفورهم منه حتى يصبح الموت عنده أفضل من هذه الحياة، فإن من لم يثبت نسبه ميت حكما.

رابعاً: تحريم نكاح المتعة:

ونكاح المتعة يعني تزوج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة قال علي (ﷺ): "أن النبي (ﷺ) نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خبير"(1). قال ابن مسعود: كنا نغزو مع رسول الله (ﷺ) وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب ثم قرأ علينا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(2). وهذا التفسير يتوافق مع قول أبي ذر: إنما كانت المتعة لخوفنا ولحربنا(3).

خامساً: تحريم نكاح الشغار:

وهو أن يتزوج هذا ولية هذا على أن يزوجه الآخر وليته أيضاً سواء ذكر في ذلك صداقا لكل واحدة منهما أو لإحداهما دون الأخرى. ويعيب على هذا النوع من النكاح فقد الحقوق الزوجية، فعن أنس بن مالك (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "لا شغار في الإسلام"(4).

ولتأكيد قيمة الإنسان حرمت السنة نكاح الشغار تكريما للعلاقات الزوجية وارتفاعا بها من مستوى العمل التجاري وتبادل المنافع وإظهارها لقيمة الأسرة

---

(1) أخرجه البخاري في النكاح ١٢٩/٦ باب ٣١ نهى رسول الله (ﷺ) عن نكاح المتعة، ومسلم في النكاح ١٠٢٧/٢ باب ٣ نكاح المتعة.

(2) أخرجه البخاري في النكاح ١١٩/٦ باب ما يكره من التبتل.

(3) أخرجه البيهقي في سننه ٢٠٧/٧ في النكاح باب نكاح المتعة، قال ابن حجر في فتح الباري ٢٠٦/١٩: إسناده حسن.

(4) أخرجه مسلم في النكاح ١٣٥/٢ باب ٧ تحريك نكاح الشغار.

ومنزلة الزوجة فإن الأسرة في نظر الإسلام هي الأساس الأصيل للمجتمع وقد أقامها الله على رقي المشاعر وسمو العواطف قال جل شأنه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال عز وجل: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].

سادساً: تحريم نكاح المحلل:

وهذا ضرب من نكاح المتعة وأصل ذلك أنه عقد عليها النكاح إلى أن يصيبها فإذا أصابها فلا نكاح له عليها وصورته أن يطلق الرجل زوجته ثلاثا فيزوجها رجل آخر على أن يطلقها بعد مواقعته إياها لتحل للزوج الأول. فعن علي (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: "لعن الله المحلل والمحلل له"[1].

سابعاً: تحريم نكاح الاستبضاع:

والاستبضاع نوع من نكاح الجاهلية وذلك أن تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط، كان الرجل منهم يقول لأمته أو امرأته أرسلي إلى فلانا استبضعي منه ويعزلها فلا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل إنما يفعل ذلك رغبة في نجابه الولد[2]. وهناك طرق كثيرة لهذا النوع من أنواع النكاح وكلها محرمة إلا نكاح الناس اليوم[3] وبذلك أحاطت السنة مصدر الميلاد بسياج من الطهر والعفاف والنقاء.

فماذا عساهم يشعرون لو كان الطريق فوضويا كلا مباحا؟ ماذا تكون نفسية ولد يدرك أنه جاء من طريق غير محترم لا في نظره هو ولا في نظر المجتمع ولا

---

(1) أخرجه أبو داود في النكاح ٥٦٢/٢ باب ١٦ في التحليل، وأخرجه الترمذي في النكاح ٤٢٨/٣ باب ٢٨ ما جاء في المحلل، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٩٩/٢، وصححه الحاكم الذهبي.

(2) راجع البخاري في النكاح ١٣٢/٦ باب ٣٦ من قال لا نكاح إلا بولي.

(3) سويد، محمد أنور الدين عبد الحفيظ (١٩٨٨). **منهج التربية النبوية للطفل**، القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ص ص ٤٦-٤٧.

في نظر الشرع؟ ماذا يحدث لو عرف لقيط من اللقطاء أن تلك المرأة هي أمه، وإنها جاءت به خطأ في لحظة انحراف مزاجي غاب فيها الخلق والشرف والعفاف والإيمان؟

لهذا حرم الله كل طريق يبعث على القلق النفسي في الذرية، وصانها من كل أسلوب يورثها ضررا. وحرصت السنة المطهرة على أن يكون السبيل الذي سينجم عنه الولد مشروعا وحلالا وطيبا، لأنه لا بركة ولا خير ولا قبول إلا للحلال الطيب، والله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبا.

ثامناً: رعايته وهو في بطن أمه:

أوجب الإسلام على الزوج النفقة على الأم الحامل حتى في حالة انفصالها عن زوجها بطلاق. قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٦]. ولقد رخص الشارع الحكيم الفطر في رمضان إذا خافت على نفسها أو على ولدها أو عليها وأثناء رضاعتها لمولودها. عن أنس (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "إن الله عز وجل وضع عن المسافر شطر الصلاة، وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم أو الصيام.."[1].

ولقد منعت السنة إيذاء الولد في بطن أمه فأجلت تنفيذ الحد على الأم ما كان في بطنها وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية: تترك حتى تضع ما في بطنها ثم تترك حولين حتى تفطمه[2]. لقوله (ﷺ) الغامدية التي زنت وجاءت تطلب من

---

(1) أخرجه ابن ماجة في الصيام ٥٣٣/١ باب ١٢ ما جاء في الإفطار للحامل، وأخرجه أبو داود في الصوم ٧٩٧/٢ باب ٤٣ اختيار الفطر، وأخرجه الترمذي في الصوم ٩٤/٣ باب ٢١ ما جاء في الرخصة في الإفطار، وقال الترمذي: حديث حسن، والعمل على هذا عند أهل العلم.

(2) محمود، علي عبد الحليم (١٩٩٢). **تربية الناشئ المسلم**، ط ٢، المنصورة: دار الوفاء، ص ص ٧٩-٨٠.

رسول الله (ﷺ) إقامة الحد عليها فقال لها: "اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه". وفي رواية أخرى أنه قال لها: "لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه"[1]، بل إن الطفل صان الله عز وجل حقه وحفظه حتى يخرج إلى الدنيا إن كان من أهل الإرث. فإذا مات الرجل وترك زوجته حبلى فإن المال يوقف حتى يتبين ما تضع، وأجمع أهل العلم على أن الرجل إذا مات وزوجته حبلى فأن الولد الذي في بطنها يرث ويورث إذا خرج حيا، ففي الحديث قال رسول الله (ﷺ): "إذا استهل[2] المولود ورث"[3].

وهنا تظهر قيمة السنة في تكريمها لنوع الإنسان بالمحافظة على نوعه وقيمته ومعناه الإنساني الرفيع، كما تظهر عظمتها في اعتنائها أعظم العناية بالإنسان قبل أن يخرج إلى نور الوجود، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤]، ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

١- التأذين والإقامة:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: "رأيت رسول الله (ﷺ) أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة رضي الله عنهما"[4] وسر التأذين، أن يكون أول ما يقرع سمع

---

(1) أخرجه مسلم في الحدود ١٣٢/٢- ١٣٢٣ باب ٥ من اعترف على نفسه بالزني.

(2) استهل: استهلال الصبي تصويته عند ولادته. النهاية ٢٧١/٥.

(3) أخرجه أبو داود في الفرائض ٢٣٥/٣ باب ١٥ في المولود، وابن ماجة في الجنائز ٤٨٣/١ باب ٢٦ ما جاء في الصلاة على الطفل وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة ٦١/١.

(4) أخرجه أبو داود في الأدب ٣٣٣/٥ باب ١١٦ في الصبي يولد، وأحمد في المسند ٣٩٢/٦، والترمذي في الأضاحي ٩٧/٤ باب ١٧ في الآذان في أذن المولود، وقال الترمذي: حسن صحيح، وحسنه الألباني في إرواء الغليل ٤٠٠/٤.

الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الله وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله في الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشرع مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الآذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ولغير ذلك من الحكم.

٢- في استحباب تحنيكه:

التحنيك مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي وذلك حنكه، عن أبي موسى قال: "ولد لي غلام فأتيت به النبي (ﷺ)، فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعها إلي وكان أكبر ولد أبي موسى"[1]. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (ﷺ) كان يؤتي الصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم[2].

وروي أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قال: قالت: فأتيت المدينة، فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت رسول الله (ﷺ)، فوضعه في حجره، فدعا بتمرة فمضغها، قالت: ثم حنكه بالتمرة[3]. وهذه العملية لها منطلقان:

---

(1) أخرجه البخاري في العقيقة ٢١٦/٦ باب ١ تسمية المولود، وأخرجه مسلم في الآداب ١٦٩٠/٢ باب ٥ استحباب تحنيك المولود.

(2) أخرجه مسلم في الآداب ١٦٩١/٢ باب ٥ استحباب تحنيك المولود، وأحمد في المسند ٢١٢/٦.

(3) أخرجه البخاري في العقيقة ٢١٦/٦ باب ١ تسمية المولود، ومسلم في الآداب ١٦٩١/٢ باب ٥.

أحدهما: إيماني فذلك فعل الرسول (ﷺ)، ومن الإيمان اتباعه والسير على نهجه، سواء أدركنا الحكمة من فعله أم لم ندرك، ولا ريب في أن ملامسة ريق الرسول (ﷺ) لفم حفيده الحسن[1] خير وبركة عظيمة، وقد يكون في ملامسة ريق أحد الأبوين أو الرجل الصالح لفم المولود خير وبركة بإذن الله.

وثانيهما: إن في تحنيك الطفل وفرك منابت الأسنان بالتمر المعجون بالحلو تهييجا غريزيا لإلية البلع في فم الطفل مما يهيؤه لتلقي الثدي وتقبل اللبن والرضاع.

فالتحنيك معجزة طبية للنبي (ﷺ) لم تظهر الحكمة من ورائها إلا حديثا، فالطفل بعد ولادته وانفصاله جسديا عن أمه ينقطع سبيل الغذاء الجاهز إليه، فليجأ للاعتماد على ما استطاع جسمه تخزينه من الطعام، وهذا ليس بالكثير أثناء حمله في رحم أمه، لحين إفراز اللبن من ثدي والدته، فتنخفض تبعا لذلك نسبة السكر في دم الطفل، فتحنيكه بالتمر يحافظ على مستوى السكر في دمه، ومن هنا تتضح الأهمية العظمى للتحنيك في تغطية الفجوة هذه في تغذية المولود بين ولادته وبدء رضاعته من ثدي أمه[2].

٣- حلق الرأس:

قال أبو عمر بن عبد البر[3]: أما حلق رأس الصبي عند العقيقة، فإن العلماء كانوا يستحبون ذلك وقد ثبت عن النبي (ﷺ) أنه قال في حديث العقيقة "ويحلق رأسه

---

(1) انظر مسند الإمام أحمد ٤/٩٣ وقال الهيثمي في المجمع ٩/١٧٧: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة.

(2) روائع الطب الإسلامي ١/٨٨-٨٩.

(3) التمهيد لابن عبد البر ٤/٣١٨.

ويسمى"[1][2]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "عق رسول الله (ﷺ) عن الحسن والحسين يوم السابع وسماهما وأمر أن يماط عن رؤوسهما الأذى"[3]. وعن أبي رافع قال: لما ولدت فاطمة حسنا قالت: ألا أعق عن ابني بدم، قال: لا، ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين. قالت: فلما ولدت حسينا فعلت مثل ذلك[4].

ولحق الرأس والتصدق فائدتان[5]:

١- فائدة صحية لأنه في إزالة شعر رأس المولود تقوية له وفتح لمسام الرأس وتقوية حاسة البصر والشم والسمع.

٢- وفائدة اجتماعية وإنسانية وذلك لأن التصدق بوزن شعره فضة على أهل الحاجة تحقيق لظاهرة التراحم والتكافل الاجتماعي مما يؤدي إلى تزكية الطفل وتطهيره.

٤- حسن تسميته:

جاء الحديث عن النبي (ﷺ) أنه أمر أن يسمى المولود يوم سابعه[6]. وذكر حديث بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتيت به

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٣٧/٤ وصححه الحاكم والذهبي، وأخرجه أبو داود في الأضاحي ٢٦٠/٣ باب ٢١ في العقيقة، وأخرجه النسائي في العقيقة ١٦٦/٧ باب ٥ متى يعق؟

(2) ابن قيم الجوزية: (٢٣٥هـ). **تحفة الولود بأحكام المولود**، بيروت: دار الجيل، ص ص ١١٦-١١٧.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٣٧/٤ وصححه الحاكم والذهبي.

(4) أخرجه أحمد في المسند ٣٩٠/٦-٣٩١ وقال الهيثمي في المجمع ٧٥/٤: رواه أحمد وهو حديث حسن.

(5) بدير، بدير محمد (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، ط ٢، القاهرة: مطابع ابن تيمية.

(6) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٧/٤، وصححه الحاكم والذهبي.

النبي (ﷺ) فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة[1].

وفي صحيح مسلم عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): "ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم"[2]. لذى نرى أن التسمية لما كانت حقيقتها تعريف الشيء المسمى، لأنه إذا وجد هو مجهول الاسم لم يكن له ما يقع تعريفه به فجاز تعريف يوم وجوده، وجاز تأخير التعريف إلى ثلاثة أيام، وجاز يوم العقيقة، ويجوز قبل ذلك وبعده والأمر فيه واسع.

ما يستحب من الأسماء وما يكره:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله، وعبد الرحمن[3]. وعن سعيد بن المسيب قال: أحب الأسماء إلى الله أسماء الأنبياء[4]. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله يتفاءل ولا يتطير ويعجبه كل اسم حسن[5].

والحكمة في الاقتصار على الاسمين أنه لم يقع في القرآن الكريم إضافة "عبد" إلى اسم من أسماء الله تعالى غيرهما[6]. قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩]. ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ [الفرقان: ٦٣]. ويؤيده قوله تعالى:

---

(1) راجع الحديث رقم (٣) في ص ٧٤.

(2) أخرجه مسلم في الفضائل ١٨٠٧/٢ باب ١٥ رحمته (ﷺ)، وأبو داود في الجنائز ٤٩٣/٣ باب ٢٨ في البكاء على الميت.

(3) أخرجه مسلم في الآداب ١٦٨٢/٢ باب ١ النهي عن التكني بأبي القاسم، وابو داود في الأدب ٢٣٦/٥ باب ٦٩ في تغيير الأسماء.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٧٩/٨، وقال ابن حجر في فتح الباري ٢٨٩/٢٢: أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

(5) أخرجه أحمد في المسند ٣١٩/١ وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة ٣٣٩/٢ – وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند ٢٩٢٧/٤: إسناده صحيح.

(6) فتح الباري ٣٨٠/٢٢.

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وعلى الوالدين أن يجتنبوا ولدهم الاسم القبيح الذي يمس كرامته، ويكون مدعاة للاستهزاء به والسخرية، فهذا رسول الله (ﷺ) كما روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها "كان يغير الاسم القبيح"[1]. وروى الترمذي وبن ماجة عن عمر (رضي الله عنه): أن أبنة لعمر كان يقال لها عاصية، فسماها رسول الله (ﷺ) جميلة[2].

وأيضاً يجب عليهم أن يجتنبوا الأسماء التي لها اشتقاق من كلمات فيها تشاؤم، حتى يسلم الوالدين هذه التسمية وشؤمها، كما يجب عليهم أن يجتنبوا الأسماء المختصة بالله سبحانه وتعالى، فلا يجوز تسمية بالأحد ولا بالصمد ولا بالخالق ولا بالرازق .. ولا بغيرها، فقد سأل رسول الله (ﷺ) أحد الصحابة عن اسم ابنه فقال: عزيزا. قال: لا هو عبد الرحمن[3].

ومن المحرم التسمية بملك الملوك وسلطان السلاطين وشاهنشاه، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: "إن اخنع[4] اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك"[5]. وفي رواية لمسلم "أغيظ رجل عند الله يوم القيامة وأخبثه رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله"[6].

---

(1) أخرجه الترمذي في الأدب ١٣٥/٤ باب ٦٦ ما جاء في تغير الأسماء، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٤/١.

(2) أخرجه مسلم في الآداب ١٦٨٧/٢ باب ٣ استحباب تغيير الاسم، وأبو داود في الأدب ٢٣٨/٥ باب ٧٠ في تغيير الاسم.

(3) أخرجه أحمد في المسند ١٧٨/٤، وقال الهيثمي في المجمع ٤٩/٨: رواه أحمد بأسانيد رجالها رجال الصحيح.

(4) اخنع: أي أذلها وأوضعها. النهاية ٨٤/٢.

(5) أخرجه مسلم في الآداب ١٦٨٨/٢ باب ٤ تحريم التسمي بملك الأملاك. وأخرجه البخاري في الأدب ١١٩/٧ باب ١١٤ أبغض الأسماء.

(6) أخرجه مسلم في الآداب ١٦٨٨/٢ باب ٤.

ومن الأسماء المكروهة، وما رواه مسلم في صحيحه: "لا تسمين غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجيحا ولا أفلح فإن تقول أثم هو؟ فلا يكون. فيقول لا[1]. قال الخطابي: كانوا يقصدون بهذه الأسماء إما التبرك بها، أو التفاؤل بحسن ألفاظها، فحذرهم أن يفعلوه لئلا يتقلب عليهم ما قصدوه في هذه التسميات إلى الضد، فنهاهم عن السبب الذي يجلب لهم سوء الظن بالله سبحانه ويورثهم الإياس من خيره"[2].

وقد كان النبي (ﷺ) يشق عليه الاسم القبيح ويكرهه جداً من الأشخاص والأماكن والقبائل والجبال حتى أنه مر على قرية يقال لها عفرة فسماها خضرة[3]. وكان النبي (ﷺ) شديد الاعتناء بذلك.

ويجب على الوالدين أن يجنبوا أولادهم الأسماء التي فيها تميع وتشبه وغرام كاسم: هيام، غادة، أحلام، هيفاء، هناء، ميادة. وما شابهها وذلك حتى تتميز الأمة الإسلامية بشخصيتها وتعرف بخصائصها وذاتيتها.

ومن السنة تكنية المولود بأبي فلان، ومن المبادئ التربوية التي وضعها الإسلام في تربية المولود تكنية المولود بأبي فلان، ولهذه التكنية آثار نفسية رائعة وفوائد تربوية عظمية، وهي كما يلي:

تنمية شعور التكريم والاحترام في نفسية الولد، وتعويده آداب الخطاب للكبار، ولمن كان في سنه من الصغار ولهذه الفوائد الجليلة والاعتبارات العظيمة، كان صلوات الله وسلامه عليه يكن الأطفال وينياديهم بها تعليما للمربين وإرشادا لهم حتى

---

(1) أخرجه مسلم في الأدب ١٦٨٥/٢ باب ٢ كراهية التسمية، وأخرجه أبو داود في الأدب ٢٤٣/٥ باب ٧٠ في تغيير الاسم.

(2) حاشية سنن أبو داود ٢٤٤/٥ من كتاب الأدب.

(3) أخرجه الطبراني في العجم الصغير ١٤٦/١ وقال الهيثمي في المجمع ٥٠/٨، رواه الطبراني في الصغير ورجاله رجال الصحيح.

ينهجوا منهجه ويسلكوا طريقه في تكنية أولادهم ومناداتهم بها، وتكنية المولود امر مستحب وتكنية الكبار، ولا يلزم من جواز التكنية أن يكون للمكنى ولد، ولا أن يكن باسم ذلك الولد فيما يروي أنس بن مالك (رضي الله عنه) فيقول: كان النبي (ﷺ) ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: "يا أبا عمير ما فعل النغير"[1][2].

لذا نرى أنه إذا ما أحسن الآباء والأمهات السر في ضوء السنة المطهرة في تسمية أولادهم الأسماء الحسنة، وتجنب الأسماء التي تحط من أقدراهم، وتمس بكرامتهم، وتكدر صفو حياتهم، وتحطم معنوياتهم، كان لذلك الأثر الطيب، فالطفل الذي يستهزأ به من قبل سائر الأطفال لاسمه المستهجن، أو لانتسابه إلى عشيرة ذات اسم قبيح، يخسر نشاطه ويسير دوما إلى اضمحلال وانهيار، فهو يتجنب الألعاب الجماعية للأطفال ويخشى من معاشرتهم، وقد يورثه هذا أحقاد وضغائن وعقد نفسية وعزلة انطوائية لا تحمد عقباها[3].

فما على الآباء والأمهات إلا أن ينهجوا الطريق القويم في تسمية أولادهم، حتى يشعروا بشخصيتهم، وتنمو في نفوسهم روح المحبة والتكريم لذواتهم، فيجب أن نأخذ جميعا بأسس هذه التربية الفاضلة، وأن نسير على مبادئ هذا المنهج الإسلامي العظيم، إن أردنا أن نعيد لأنفسنا وأمتنا المجد العظيم، والكيان الكبير، وما ذلك على الله بعزيز، إن أخلصنا وطبقنا أو التزمنا الإسلام تشريعا وتربية ومنهاجا.

٥- العقيقة:

وأصل العقيقة الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد وإنما سميت

---

(1) النغير: تصغير النغر وهو طائر يشبه العصفور. النهاية ٨٦/٥.

(2) أخرجه البخاري في الأدب ١٠٢/٧ باب ٨١ الانبساط إلى الناس. ومسلم في الآداب ١٦٩٢/٢ باب ٥ استحباب تحنيك المولود.

(3) بدير، محمد بدير (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان، الطبعة الثانية، القاهرة: مطابع ابن تيمية، ص ٤٧.**

بذلك الشاة التي تذبح في تلك الحال عقيقة لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح. عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده (ﷺ) قال: سئل رسول الله (ﷺ) عن العقيقة فقال: "لا أحب العقوق، من ولد منكم مولود فأحب أن ينسك عنه فليفعل عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة"(1).

وعن سمرة بن جندب (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: "الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق رأسه ويسمى يوم السابع"(2) وقد تكلم الناس في معنى "مرتهن بعقيقته" وأجود ما قالوا: أن معناه إن مات طفلاً ولم يعق عنه لم يشفع في والديه، ويروى عن قتادة أنه يحرم شفاعتهم. والعقيقة تشبه العتق عن المولود فإنه رهين بعقيقته، فالعقيقة تفكه وتعتقه وكان الأولى أن يعق عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة، كما أن عتق الأنثيين يقوم مقام عتق الذكر.

كما جاء عن أبي أمامة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "أيما امرئ مسلم أعتق امرءاً مسلما كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوا منه، وأيما امرئ مسلم اعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار، يجزي كل عضو منهما عضوا منه، وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضوا منها"(3).

---

(1) أخرجه أحمد في المسند ١٩٤/٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٣٨/٤ وصححه الحاكم والذهبي.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٣٧/٤ وصححه الحاكم والذهبي – وأخرجه أبو داود في الأضاحي ٢٦٠/٣.

(3) أخرجه الترمذي في السير ١١٧/٤ باب ١٩ ما جاء في فضل من أعتق وقال الترميذي: حديث حسن صحيح، وأخرجه مسلم مختصرا في العتق ١١٤٧/٢-١١٤٨ باب ٥ فضل العتق، وأخرجه البخاري مختصرا في العتق ١١٧/٣ باب ١ قوله تعالى (فك رقبة).

قال رسول الله (ﷺ): "غلام رهينه بعقيقته"[1]. والعقيقة سنة وفيها سر بديع موروث عن فداء إسماعيل بالكبش الذي ذبح عنه وفداه الله به فصار سنة في أولاده من بعده، أن يفدي أحدهم عند ولادته بذبح يذبح عنه ولا يستنكر أن يكون هذا حرز له من ضرر الشيطان بعد ولادته، كما كان ذكر الله عند وضعه في الرحم حرزا له من ضرر الشيطان، لهذا قال: من يترك أبواه العقيقة عنه إلا وهو في تخبيط من الشيطان، وأسرار الشرع أعظم من هذا، وشرع الله تعالى للوالدين أن يفكا رهان مولودهما بذبح يكون فداه فإذا لم يذبح عنه بقي مرتهنا به ولذا أمرنا بإراقة الدم عنه، والذي يخلص به من الارتهان وبهذا يخلص المولود من الأذى الباطن والظاهر.

ومن فوائد العقيقة[2]:

١- القرب إلى الله عن المولود بها وذكر اسمه من أول لحظات حياته حتى يبارك الله فيه ويطيبه ويجعله من الذين يبذلون الغالي والنفيس لله رب العالمين.

٢- إنها فدية له من المصائب كما فدى الله إسماعيل بذبح عظيم.

٣- أنها لبر الوالدين وشافعة المولود لهما.

٤- تقوية روابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع في الاجتماع على موائد الطعام ابتهاجا بقدوم المولود الجديد.

٥- لإرساء قواعد التكافل الاجتماعي والتي يتحين الإسلام في كل مناسبة ليدعمها ويمحو ظواهر الفقر والحرمان والفاقة.

٦- إحياء سنة رسول الله (ﷺ).

٦- الختان:

الختان موضع الختن من الذكر وموضع القطع من نواة الجارية وتسمى

---

(1) راجع الحديث السابق ص ٨١.

(2) علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٣). **تربية الأولاد في الإسلام**، حلب: دار السلام، ص ١٠٦.

الدعوة لذلك ختانا والمستحق من الرجال قطع القلفة وهي الجلدة التي تغطي الحشفة حتى لا يبقى من الجلدة شيء متدل[1]. وختان المرأة قطع جلدة تكون في أعلى الفرج والواجب قطع الجلدة المستعلية من دون استئصاله. وعن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: "خمس من الفطرة: منها الختان"[2]. وروى الإمام أحمد وأبو داود، عن غيث بن كليب عن أبيه عن جده، أنه جاء إلى النبي (ﷺ) فقال: قد أسلمت، قال: "ألق عن شعر الكفر واختتن"[3].

والختان له حكمة دينية عظيمة فهو رأس الفطرة وشعار الإسلام، وعنوان الشريعة وله فوائد كثيرة منها أنه يميز المسلم من غيره في إتباع الديانات والملل الأخرى وكذلك يجلب النظافة، وتحسين الخلقة، وتعديل الشهوة، وهو أيضاً يقي صاحبه كثير من الأمراض.

٧- إثبات نسبه:

عن أبي هريرة (ﷺ) قال: لما نزلت آية الملاعنة قال النبي (ﷺ): "أيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين"[4].

---

(1) بدير، محمد بدير (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، ط ١، القاهرة: مطابع ابن تيمية، ص ص ٥١-٥٢.

(2) أخرجه البخاري في الباس ٥٦/٧ باب ٦٤ تقليم الأظافر، وأخرجه مسلم في الطهارة ٢٢١/١ باب ١٦ خصال الفطرة.

(3) أخرجه أبو داود في الطهارة ٢٥٣/١ باب ١٣١ في الرجل يسلم، وأحمد في المسند ٤١٥/٣ وحسنه الألباني في الإرواء ١٢٠/١.

(4) أخرجه أبو داود في الطلاق ٦٩/٢ باب ٢٩ التغليظ في الانتفاء، وأخرجه النسائي في الطلاق ١٧٩/٦ باب ٤٧ التغليظ، وأخرجه الشافعي في مسنده ص ٢٥٨ في كتاب الظهار، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٠٣/٢ وصححه الحاكم في النهي.

ولقد ألغى الإسلام التبني وأمر بنسب الأولاد إلى آبائهم الأصليين فإن لم يعلم لهم آباء فهم إخوان لنا في الدين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥]. وقال (ﷺ): "ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده في النار"(١). وفي قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وهذا الحق من أعظم ما أثبتته السنة للطفل فمن حق الولد على أبيه إثبات نسبه لشأنه ثمرة زواج شرعي بين أبويه. ولذا قال رسول الله (ﷺ): "من انتفى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد قصاص بقصاص"(٢).

٨- الدعاء للمولود وشكر الواهب:

عن معاوية بن قرة أنه لما ولد له إياس قال: دعوت نفرا من أصحاب النبي (ﷺ) فأطعمتهم فدعوا، فقلت إنكم دعوتم فبارك الله لكم فيما دعوتم وإني إن أدعو بدعاء فأمنوا قال: فدعوت له بدعاء كثير في دينه وعقله وكذا قال: فإني لأتعرف فيه دعاء يومئذ(٣).

وعن كثير بن عبيد قال: كانت عائشة رضي الله عنها إذا ولد فيهم مولود (يعني في أهلها) لا تسأل غلاما ولا جارية تقول: خلق سويا؟ فإذا قيل نعم، قالت الحمد لله رب العالمين(٤).

---

(1) أخرجه البخاري في المناقب ١٢٦/٤ باب ٥.
(2) أخرجه أحمد في المسند ٢٦/٢، وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند ١٦/٧: إسناده صحيح.
(3) البخاري في الأدب المفرد ص ٢٦٨.
(4) البخاري في الأدب المفرد ص ٢٦٨.

ومن ثم، يستنتج من هذه الأحكام هذه الحقيقة الهامة؛ إلا وهي[1]: الاعتناء بالمولود منذ الولادة، والاهتمام بأمره من حين أن يطل على الدنيا، ويستنشق نسائم الحياة، وهي أحكام هامة تكسب الطفل صحة وتعطيه قوة، حتى إذا فتح عينيه، وأصبح ينظر حوله، ويتفهم الأمور، ويدرك الحقائق والأشياء في أن وجد نفسه في أسرة مسلمة تطبق الإسلام، وتعمل بمقتضى الشريعة، وقد قامت تدعوه بكل الالتزامات التي أمر بها الشرع الحنيف، وسنها الرسول الكريم (ﷺ).

ولا شك أن الولد حين يفهم هذه الالتزامات ويعرف أن مربيه من أب وأم يقومان بكل هذه الواجبات، فإن نفسه تترسخ على الإسلام وتتربى على الإيمان، وتعتاد على معاني الخلق والفضيلة وأنبل الفضائل والمكرمات.

ومن ثم فإن كان الإسلام قد اعتنى بالولد من حين الولادة – فاعتناؤه من حين أن يعقل ويتفهم الحياة، ويدرك حقائق الأشياء سيكون أبلغ وأعظم، وأسمى وأكبر.

رعاية حضانة ورضاعة:

الحضانة مصدر الحاضنة وهي التي تربي الطفل، والموكلة بالصبي تحفظه وتربيه، والرضاع: مص الرضع من ثدي الأدمية في مدة الرضاع[2].

ويندب أن تقوم الأم بحضانته ورضاعته لأن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من سائر الألبان من حيث إن شفقة الأم أتم من شفقة غيرها. قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقال جمهور المفسرين أن هذين الحولين لكل ولد. وروى ابن عباس أنه

---

(1) علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٣). **تربية الأولاد في الإسلام**، حلب: دار السلام، ص ص ١١٧-١١٨.

(2) بدير، محمد بدير (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، ط ٢، القاهرة: مطابع ابن تيمية، ص ص ٥٦-٥٩.

قال: يمكث الولد في البطن ستة أشهر إذا حملته تسعة أشهر أرضعته واحدا وعشرين شهرا، وإن حملته ستة اشهر أرضعته أربعة وعشرين شهرا، ثم قرأ[1]: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾ [الأحقاف: ١٥].

ويقرر القرآن الكريم هنا حقيقة فائدة الرضاع من حليب الأم المعقم والذي هو أصح غذاء من كل أنواع الحليب الصناعي والعادي. وفائدته الغذائية والنفسية ثابتة ومهمة للأم.

ومن الغريب أنه في الوقت الذي انتشر فيه استعمال اللبن المجفف في مجتمعنا كدلالة على الرقي والتطور تنادي أرقى مستشفيات العالم بالعودة إلى حليب الأم، حيث أنه يؤمن للطفل حاجته الجسمية والحياتية والعاطفية ولحمايته من الأمراض.

وهذا التحديد الدقيق لفترة الرضاعة المثلى وتأكيد الآيات القرآنية عليه لم يتيسر تقريره كحقيقة علمية إلا من خلال الأبحاث الطبية الحديثة بعدما ثبتت العلاقة بين تمام الرضاعة وكفاءة الجهاز المناعي والقدرة على مقاومة الأمراض، حيث أثبت الطب الحديث أن كفاءة الجهاز المناعي لا تصبح في أمثل صورة إلا عند عامين، أما قبل ذلك فيكون الرضيع في حاجة إلى مناعة مكتسبة في صورة أجسام مضادة تنتقل من لبن الأم إلى الطفل عبر الرضاعة.

رعايته جسديا:

تلخص السنة المطهرة رعاية الطفل جسديا في الآتي:

١- تجنب قتله:

قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. أي من خوف الفقر، وقد صرح بذكر الخوف في قوله سبحانه: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٨٠ وصححه الحاكم والذهبي.

إِمْلَاقٍ ﴾ [الإسراء: ٣١]. والمراد منه النهي عن الوأد إذ كانوا يدفنون البنات أحياء بعضهم للغيرة وبعضهم خوف الفقر وهو السبب الغالب فبين تعالى فساد هذه العلة بقوله: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. لأنه تعالى إذا كان متكفلا برزق الوالد والولد فكما وجب على الوالدين تبقية النفس والاتكال في رزقها على الله فكذلك القول في حال الولد. وقد حث رسول الله (ﷺ) إلى الإحسان إلى البنات فقال: "لا يكون لأحد ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو اثنتان أو أختان فيتقي الله فيهن ويحسن إليهن إلا دخل الجنة"[1].

٢- النفقة عليه:

عن ثوبان بن مجدد مولى رسول الله (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ): "أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله"[2]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: "اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول.."[3]. ومن أجل الولد حثت السنة على الإنفاق على أمه حتى تكتمل رعايتها له فضررها يتعدى إلى الولد. فعن أبي مسعود البدري (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: "إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة"[4].

٣- الوقاية من الأمراض:

من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ النفس وحاصلة في ثلاثة معاني وهي إقامة أصله بشريعة التناسل، وحفظ بقائه بعد خروجه من العدم إلى الوجود من جهة

---

(1) أخرجه أحمد في المسند ٤٢/٣ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥٢/١.

(2) أخرجه مسلم في الزكاة ٦٩٢/١ باب ١٢ فضل النفقة على العيال.

(3) أخرجه البخاري في الزكاة ١١٧/٢ باب ١٨ لا صدقة، وأخرجه مسلم في الزكاة ٧١٧/١ باب ٣٢ بيان أن اليد العليا خير.

(4) أخرجه البخاري في النفقات ١٨٩/٦ باب ١ فضل النفقة على الأهل.

المأكل والمشرب وذلك ما يحفظه من الداخل، والملبس والمسكن وذلك ما يحفظه من الخارج، وحفظ ما يتغذى به أن يكون مما لا يضر أو يقتل أو يفسد.

ومن الوقاية: تعويده الالتزام بآداب الطعام والشراب ومنها القصد فيه. عن جابر (ﷺ) عن رسول (ﷺ) قال: "غطوا الإناء، وأوكوا السقاء وأغلقوا الأبواب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابا، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودا ويذكر اسم الله فليفعل، فإن الفويسقة[1] تضرم على أهل البيت بيتهم"[2].

ومن آداب الطعام والشراب تجنب التنفس في الإناء. عن قتادة (ﷺ) أن النبي (ﷺ) نهى أن يتنفس أحدنا في الإناء[3]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله (ﷺ) أن يشرب من في السقاء لأنه ينتنه[4].

وفي الشرب وفقا للسنة ثلاث حكم جمة وفوائد مهمة، وقد نبه (ﷺ) على مجامعها بقوله: "أنه أروى وأبرأ وأمرأ"[5]، فأروي أشد ريا وأبلغه وأنفعه، وأبرأ: أفعل من البرء وهو الشفاء، أي يبرئ من شدة العطش، وأمرأ: وهو أفعل من مريء الطعام والشراب في بدنه إذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع، ومن آفات الشرب نهلة واحدة يخاف منه الشرق بأنه يفسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فينفض

---

(1) الفيوسقة: هي الفأرة سميت بذلك لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها. النهاية ٤٤٦/٣.

(2) أخرجه مسلم في الأشربة ١٥٩٤/٢ باب ١٢ الأمر بتغطية الإناء، وابن ماجة في الأشربة ١١٢٩/٢ باب ١٦ باب تخير الإناء.

(3) أخرجه مسلم في الأشربة ١٦٠٢/٢ باب ١٦٥ كراهية التنفس، وأبو داود في الأشربة ١١٤/٤ باب ٢٠ في النفخ في الشراب.

(4) أخرجه الحاكم في الأشربة ١٤٠/٤ وصححه الحاكم والذهبي، كما صححه الألباني في الأحاديث الصحيحة ١٢١/١.

(5) أخرجه مسلم في الأشربة ١٦/٢-٣ باب ١٦ كراهة التنفس.

به فإذا تنفس رويدا ثم أمن من ذلك.

ومن الآداب تعليم الولد الأكل باليمين، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت يد رسول الله (ﷺ) اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى"[1].

ومن الوقاية تعويد الولد النوم على السنة على الجانب الأيمن. عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ): "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن.." [2].

فليعود الطفل النوم على جانبه الأيمن لأنه أنفع للنوم لاستقرار الطعام بهذه الهيئة في المعدة استقرارا حسنا فإن المعدة أميل إلى الجانب الأيسر قليلا وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضر بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه فتنصب إليه المواد.

ومن الوقاية تعويد الطفل على الاغتسال والتنظيف والتطيب. فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): "من عرض عليه طيب فلا يرده فإنه طيب الريح خفيف المحمل"[3]. ومن فوائد الطيب أنه ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنية ويسر النفس ويبسط الروح، زد على ذلك أن الملائكة تحبه، والشياطين تنفر منه، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها.

---

(1) أخرجه أبو داود في الطهارة ٣٢/١ باب كراهية مس الذكر، وأحمد في المسند ٢٦٥/٦ وقال الألباني في مشكاة المصابيح ١١٣/١: إسناده صحيح.

(2) أخرجه البخاري في الدعوات ١٤٦/٧ باب ٦ إذا بت طاهرا، ومسلم في الذكر ٢٠٨١/٣ باب ١٧ ما يقول عند النوم.

(3) أخرجه أبو داود في الترجل ٤٠٠/٤ باب ٦ في رد الطيب، وأخرجه النسائي في الزينة ١٨٩/٨ وقال ابن حجر في فتح الباري ١٧/١١: حديث صحيح.

ومن الوقاية حفظهم من الخروج في جنح الليل. عن جابر بن عبد الله (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم"[1].

٤ - التداوي:

عن أبي الدرداء (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تداووا بحرام"[2]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي (ﷺ) فسمع صوت صبي يبكي فقال: "ما لصبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم له من العين"[3]. وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء"[4].

رعايته وجدانيا:

وتتلخص الرعاية الوجدانية للأطفال في الآتي:

١ - الإحسان إليهم ورحمتهم:

عن أنس (ﷺ) قال: ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله (ﷺ) قال: كان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت .. فيأخذه فيقبله ثم يرجع[5] .. وفي الحديث بيان كريم خلقه (ﷺ) ورحمته للعيال

---

(1) أخرجه البخاري في الأشربة ٢٤٩/٦ باب ٢٢ تغطية الإناء، وأخرجه مسلم في الأشربة ١٥٩٥/٢ باب ١٢ الأمر بتغطية الإناء.

(2) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٥٤/٢٤، وقال الهيثمي في المجمع ٨٦/٥: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(3) أخرجه أحمد في المسند ٧٢/٦، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٩/٣.

(4) أخرجه البخاري في الطب ١٢/١ باب ١ ما أنزل الله داء. وابن ماجة في الطب ١١٣٨/١ باب ١ ما أنزل الله داء.

(5) أخرجه مسلم في الفضائل ١٨٠٨/٢ باب ١٥ رحمته (ﷺ)، وأحمد في المسند ١١٢/٣.

والضعفاء، وفيه جواز الاسترضاع وفيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبيلهم.

وعن أنس (ﷺ) قال: كان رسول الله (ﷺ) يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم[1]. وفي مسحه (ﷺ) الصبيان بيان حسن خلقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم. وعن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: "خير نساء ركبن الإبل صالحو نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده"[2]. وعن عمر (ﷺ) قال: قدم علي النبي (ﷺ) سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي (ﷺ): "أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها"[3].

٢- ملاعبتهم وإدخال المسرة عليهم[4]:

عن بعلي بن مرة (ﷺ) قال: خرجنا مع النبي (ﷺ) ودعينا إلى طعام فإذا الحسين يلعب في الطريق فأسرع النبي (ﷺ) أمام القوم ثم بسط يديه فجعل الغلام يفر ها هنا وها هنا ويضاحكه النبي (ﷺ) حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ثم اعتنقه ثم قال النبي (ﷺ): "حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط"[5].

---

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٩١/٦، وقال البغوي في شرح السنة ٢٦٤/١٢: حديث صحيح.

(2) أخرجه البخاري في النكاح ١٢٠/٦ باب ١٢ إلى من ينكح؟، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة ١٩٥٩/٢ باب ٤٩ من فضائل نساء قريش.

(3) أخرجه البخاري في الأدب ٧٥/٧ باب ١٨ رحمة الولد، ومسلم في التوبة ٢١٠٩/٣ باب ٤ في سعة رحمة الله تعالى.

(4) بدير، محمد بدير (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، ط٢، القاهرة: مطابع ابن تيمية، ص ص ٦٨-٦٩.

(5) أخرجه ابن ماجة في المقدمة ٥١/١ باب ١ فضل الحسن والحسين، وأحمد في المسند ١٧٢/٤ والحاكم في المستدرك ١٧٧/٣ وصححه الحاكم والذهبي.

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد تحكي دخولها على النبي (ﷺ) مع أبيها وهي صغيرة فتقول: (.. فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزجرني أبي، قال رسول الله (ﷺ): "دعها.."[1].

وهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تعلمنا كيف نربي أولادنا ونرشدهم ومنها ما يدل على أنه يجب ملاعبتهم وإدخال المسرة عليهم كما فعل رسول الله (ﷺ) مع السيدة عائشة رضي الله عنها حيث تحكي لنا ذلك فتقول: رأيت النبي (ﷺ) يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو[2] وذلك لأن الطفل الصغير حتى السابعة وما بعدها يكون اللعب جانبا هاما من حياته فالجهد الفائض يمكن أن يصرف في اللعب كله أو بعضه على الأقل، واللعب ذاته بالنسبة للصغير مجال واسع للتربية والتوجيه وتنمية المواهب والقدرات والاستعدادات فهو ليس مجرد إنفاق طاقة فائضة ولكنه فرصة للتربية والتوجيه في ذات الوقت.

٣- العدالة بينهم ومعهم:

العدل ما قام في النفوس إنه مستقيم وهو ضد الجور، والعدل هذا الذي لا يميل به الهوى فيجوز في الحكم، وهو الحكم بالحق.

وفي الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينا. وينبغي الالتزام بالعدالة، العدالة حتى في إكرامهم والإقبال عليهم والبشاشة في وجوههم، ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي (ﷺ) فقال: تقبلون

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب ٧٤/٧ باب ١٧ من ترك صبية غيره حتى تلعب به.
(2) أخرجه البخاري في النكاح ١٥٩/٦ باب ١١٤ نظر المرأة إلى الحبشة، ومسلم في صلاة العيدين ٦٠٩/١ باب ٤ الرخصة في اللعب.

الصبيان فما نقبلهم، فقال (ﷺ): "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة"(١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): "من كانت له أنثى فلم يندها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها – يعني الذكور – أدخله الله الجنة"(٢).

ومن ثم، تحرص السنة المطهرة على ألا يولد في حس الطفل شعورا بالاضطهاد والظلم، فيدمر في نفسه القاعدة التي تبنى عليها في المستقبل القيم العليا والمبادئ، لأنه يجد في أقرب الناس إليه وألصقهم به وهما الوالدان نموذجاً سيئا، فكيف يتعلم هو العدل، وكيف يتعلم بقية القيم والمبادئ التي يقوم عليها الإسلام(٣). من أجل ذلك يوصي الرسول (ﷺ) بالعدل بين الأخوة فيقول: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم"(٤). وقد أبصر الأقرع بن حابس النبي (ﷺ) يقبل الحسن فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم، فقال رسول الله (ﷺ): "إنه من لا يرحم لا يُرحم"(٥)، ولأن شعور أي واحد منهم بوقوع الظلم عليه من والديه يفسد كيانه. والجو المنزلي المليء بالمحبة والعطف والهدوء يجعل الطفل في الغالب مطمئنا على نفسه، ويبدو عليه الاستقرار والثبات، ويؤدي المنزل المضطرب المشحون بالمنازعات بين الآباء والأمهات إلى فقدان الطفل لنفسه لفقدانه اطمئنانه إلى الجو المنزلي. ولهذا رغبت السنة الالتزام بالعدالة في كل شيء.

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب ٧٥/٧ باب ١٨ رحمة الولد، ومسلم في الفضائل ١٨٠٨/١ باب ١٥ رحمته (ﷺ) بالصبيان.

(2) أخرجه أبو داود في الأدب ٣٥٤/٥ باب ١٣٠ فضل من عال يتيما، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٧٧/٤ وصححه الحاكم والذهبي.

(3) سويد، محمد نور الدين عبد الحفيظ (١٩٨٨). **منهج التربية النبوية للطفل**، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ص ١٩١.

(4) أخرجه البخاري في الهبة ١٣٤/٣ باب ١٣ الإشهاد في الهبة، ومسلم في الهبات ١٢٤٣/٢ باب ٣ كراهة تفضيل بعض الأولاد.

(5) أخرجه البخاري في الأدب ٧٥/٧ باب ١٨ رحمة الولد، ومسلم في الفضائل ١٨٠٩/٢ باب ١٥ رحمته (ﷺ) بالصبيان.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"[1].

رعايته علميا وتعبديا:

حرصت السنة المطهرة على تعليم الأطفال الإيمان ثم القرآن الكريم. فالمقدم في التعليم هو الإيمان ثم دراسة القرآن الكريم وحفظه لأن الولد مادام في الحجر ينقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ صعب جبره، وتعليم الولد القرآن الكريم شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الإسلام ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لأن آياته ترسم الإيمان وعقائده، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبني عليه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: توفي رسول الله (ﷺ) وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم[2]. وحفظ الطفل القرآن في الصغر أدعى إلى ثبوته ورسوخه عنده كما يقال "التعليم في الصغر كالنقش على الحجر".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني رسول الله (ﷺ) وقال: "اللهم علمه الكتاب"[3] وكان ابن عباس إذ ذاك غلام مميزا. وفيه الحض والترغيب في تعليم الغلمان كتاب الله عز وجل وفيه جواز احتضان الصبي القريب على سبيل الشفقة.

---

(1) أخرجه مسلم في الإمارة ١٤٥٨/٢ باب ٥ فضيلة الإمام العادل، والنسائي في آداب القضاة ٢٢١/٨ باب ١ فضل الحاكم العادل.

(2) أخرجه أحمد في المسند ٢٥٣/١ وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند ٧٧/٤ إسناده صحيح.

(3) أخرجه البخاري في العلم ٢٧/١ باب ١٧ قول النبي (ﷺ) اللهم علمه الكتاب، وأحمد في المسند ٣٥٩/١.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبنيه ولبني أخيه: "تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غدا فمن لم يحفظ ليكتب"[1]. والمعلم يقدر الصغير ويعلي من شأنه.

وكان رسول الله (ﷺ) يرحم الصبيان ويبعث في نفوسهم الثقة ويكرمهم ويشجعهم ويعلمهم وكان رسول الله (ﷺ) يحرص على تعليم الأولاد الكتابة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله (ﷺ) فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة"[2]. وكان (ﷺ) يحرص على تعليمهم التقوى وكل ما يربطهم بالله ويقوي صلتهم به، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه ركب خلف رسول الله (ﷺ) يوما فقال له رسول الله (ﷺ): "يا غلام إني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[3]. ويعلم الأطفال إذا بلغ سن التمييز الطهارة والصلاة ويؤمر بهما.

وعن سبرة قال: قال رسول الله (ﷺ): "علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر"[4]. وعن أبي الحوراء قال: قلت للحسن ابن علي ما

---

(1) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٩٩/١.

(2) أخرجه أحمد في المسند ٢٤٧/١ وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند ٤٧/٤: إسناده صحيح.

(3) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٦٦٧/٤ باب ٥٩، وأحمد في المسند ٢٩٣/١ وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند ٢٣٣/٤: إسناده صحيح.

(4) أخرجه الترميذي في الصلاة ٢٥٩/٢ ما جاء متى يؤمر الصبي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٥٨/١ وصححه الحاكم والذهبي، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١٠٢/١ حديث رقم ١٠٠٢.

حفظت من النبي (ﷺ) قال: "الصلوات الخمس"[1]. وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله (ﷺ): "مروا أولادكم للصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشرة وفرقوا بينهم في المضاجع"[2].

فعلى الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ويضربوهم على ذلك إذا غفلوا، فمن احتلم أو حاض أو استكمل خمس عشرة سنة لزمه الفرض.

فمنذ السابعة يبدأ تعويد الطفل على الصلاة لأنهم لم يكلفوا بها إلا بعد سنوات لتكون هناك فسحة طويلة لإنشاء هذه العادة وترسيخها حتى إذا بلغ الطفل العاشرة وصار على مقربة من موعد التكليف فقد وجب أن يكون قد تعودها بالفعل فإن لم يكن قد تعودها من تلقاء نفسه خلال سنوات التعويد الثلاث فلابد من إجراء حاسم يضمن إنشاء هذه العادة وترسيخها.

وقد اختص حديث رسول الله (ﷺ) الصلاة بهذا الأمر لأنها هي عنوان الإسلام الأول والأكبر لقول الرسول (ﷺ): "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.."[3].

ولكن جميع آداب الإسلام وأوامره سائرة على ذات النهج وإن كان رسول الله (ﷺ) لم يحدد لها زمانا معينا كالصلاة، فكلها تحتاج إلى تعويد مبكر وكلها تحتاج بعد فترة من الوقت إلى الإلزام بها بالحسم.

---

(1) أخرجه أحمد في المسند ٢٠٠/١ وقال الهيثمي في المجمع ٩٠/٣: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(2) أخرجه أبو داود في الصلاة ٣٤/١ باب ٢٦ متى يؤمر الغلام بالصلاة؟ وأحمد في المسند ١٨٧/٢ وقال الشيخ شاكر ١٦٥/١٠: إسناده صحيح.

(3) أخرجه مسلم في الإيمان ٨٨/١ باب ٣٥ إطلاق اسم الكفر، والترمذي في الإيمان ١٣/٥ باب ٩ ما جاء في ترك الصلاة.

وقال الفقهاء وهكذا في الصوم ليكن ذلك تمرينا له على العبادة حتى يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة، ومجانبة المعصية وترك المنكر.

عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنهما قالت: أرسل النبي (ﷺ) غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: "من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائما فليصم" قالت: فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن[1]، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[2].

ويعلم الطفل آداب الأكل والشرب مثل ما يأخذ الطعام إلا بيمينه وأن يقول عليه "بسم الله" عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إليه، ولا إلى من يأكل ولا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ، وألا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه[3].

فعن عمرو بن أبي سلمة قال: كنت غلاما في حجر رسول الله (ﷺ) وكانت يدي تطيش في الصفحة فقال لي رسول الله (ﷺ): "يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك". فما زالت تلك طعمتي بعد[4].

وهذه الرعاية العلمية والتعبدية من إيمان وقراءة وحفظ لكتاب الله عز وجل، وتعليم القراءة والكتابة، والصلاة والصيام والحج وأعمال البر وآداب السنة إنما هي

---

(1) العهن: الصوف الملون، النهاية ٣/٣٢٦.

(2) أخرجه البخاري في الصوم ٢/٢٤٢ باب ٤٧ صوم الصبيان، ومسلم في الصيام ١/٧٩٨ باب ٢١ من أكل في عاشوراء.

(3) الشنتوت، خالد أحمد (١٩٩٤). **دور البيت في تربية الطفل المسلم**، الطبعة الخامس، المدينة المنورة: مطابع الرشيد ص ٢٣.

(4) أخرجه البخاري في الأطعمة ٦/١٩٦ باب ٢ التسمية، ومسلم في الأشربة ٢/١٥٩٩ باب ١٣ آداب الطعام.

أسباب الحياة الحقيقية حياة القلب والروح والسعادة الأبدية، فإذا كان الأب مسئولا عن تغذية طفله ماديا فلا يهمله حتى لا يتعرض لما هو أشد خطرا من هزال البدن أو مرضه أو حتى موته وذلك حيث يتعرض لموت القلب أو الروح وفي ذلك هلاكه للأبد، ومن هنا كانت المسؤولية خطيرة.

عن ابن عمر (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[1].

رعايته سلوكيا واجتماعيا:

وتتلخص فيما يلي:

١- تعويدهم على الفضائل ومكارم الأخلاق:

جاء في السنة المطهرة ما يحث على تعويد الولد الصلاة وكل خلق حميد، يروي لنا عبد الله بن عامر فيقول: دعتني أمي يوما ورسول الله (ﷺ) قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله (ﷺ): "وما أردت أن تعطيه؟" قالت: أعطيه تمرا، فقال رسول الله (ﷺ): "أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة"[2].

وعن عبد الله بن مسعود قال: "إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا يعد الرجل صبيا ثم لا يُنجز له.."[3].

ولعل تعويد الأطفال على الفضائل هو السر في حث النبي (ﷺ) المؤمن أن يكون له من صلاته في بيته. فعن أبي سعيد (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: "إذا قضى

---

(1) أخرجه البخاري في الجمعة ٢١٥/١ باب ١١ الجمعة في القرى، ومسلم في الإمارة ١٤٥٩/٢ باب ٥ فضيلة الإمام العادل.

(2) أخرجه أبو داود في الأدب ٢٦٥/٥ باب ٨٨ التشديد في الكذب، وأحمد في المسند ٤٤٧/٣، وصحح الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣١٠/٢.

(3) أخرجه أحمد في المسند ٤١٠/١، وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند ٣٨٩٨/٥: إسناده صحيح.

أحدكم الصلاة في مسجد فليجعل لبيته نصيبا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا"[1]. وهو تأسي الأهل والأولاد والإقتداء.

وهناك أيضاً أحاديث جواز إدخال الأطفال المساجد وتأديبهم بما ينفعهم وما يضرهم، ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك[2]. وقد ثبت أن عمرو بن سلمة أم قومه وهو ابن ست أو سبع سنين[3].

فتربية الولد على الصدق والفضائل بالقدوة تؤثر عليه وتعينه على التزامه، فإن مرة واحدة من القدوة السيئة تكفي لهدم الفضيلة في نفس الولد وتدمر قيمة الصدق في نفسه، ولو أخذ كل يوم وكل ساعة يرددان على سمعه النصائح أو المواعظ والتوصيات بالصدق، وإذا وجد الطفل أمه أو أباه يغش أحدهما الآخر أو يغشان في قول أو فعل كفيلة بأن تدمر قيمة الاستقامة في نفسه ولو انهالت على سمعه التعليمات، وإذا وجد في أحد المقربين إليه نموذجا من السرقة كفيلة بأن تدمر في نفسه قيمة الأمانة، وهكذا في كل القيم والمبادئ التي تقوم عليها الحياة الإنسانية وحيث توجد القدوة الحسنة ممثلة في الأب المسلم والأم ذات الدين فإن كثيراً من الجهد الذي يبذل في تنشئة الطفل على الإسلام يكون جهدا ميسرا وقريب الثمرة في ذات الوقت، لأن الطفل سيتشرب القيم الإسلامية من الجو المحيط به تشربا تلقائيا وستكون تصرفات الأم والأب أمانة في مختلف المواقف مع بعضها البعض ومع الآخرين نماذج يحتذى بها.

---

(1) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ٥٣٩/١ باب ٢٩ استحباب صلاة النافلة، وأخرجه ابن ماجه في الإقامة ٤٣٨/١ باب ١٨٦ ما جاء في التطوع في البيت.

(2) بدير، محمد بدير (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، ط٢، القاهرة: مطابع ابن تيمية، ص ٨١.

(3) أخرجه البخاري في المغازي ٩٦/٥ باب ٥٣، وأبو داود في الصلاة ٣٩٤/١ باب ٦١ من أحق بالإمامة.

٢- تعليمهم آداب الاستئذان:

عن أبي موسى (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع"[1].

وعن عطاء قال سألت ابن عباس قالت: أستأذن على أختي؟ فقال: نعم، فقلت: أختان في حجري وأنا أعولهما وأنفق عليهما استأذن عليهما؟ قال: نعم أتحب أن تراهما عاريتان، ثم قرأ الآية[2]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨،٥٩].

فالإذن واجب، وذلك لأن المستأذن لو دخل بغير إذن لرأى بعض ما يكره من يدخل إليه أن يطلع عليه، فيشرع الإستئذان على كل أحد حتى المحارم لئلا تكون منكشفة العورة.

ومعنى الآية أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ، وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما يستأذن الكبار، الذين لم يعتادوا الدخول عليهم إلا بإذن كما فعل ابن عمر رضي الله عنهما فيروي نافع أن ابن عمر كان إذا بلغ بعض

---

(1) أخرجه البخاري في الاستئذان ٧/١٣٠ باب ١٣ التسليم والاستئذان، ومسلم في الآداب ٢/١٦٩٤ باب ٧ الاستئذان.

(2) البابي، عبد الرحمن (١٩٨٣). **مدخل التربية في ضوء الإسلام**، الطبعة الثانية، بيروت: المكتب الإسلامي، ص ٢٠.

ولده الحلم عزله فلم يدخل عليه إلا بإذنه[1]، وعن مسلم بن نذير سأل رجل حذيفة: استأذن على أمي؟ قال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره[2].

٣- حسن اختيار صحبتهم:

إذا كانت الحاجة إلى الأصدقاء مهمة فإن الأهم حسن اختيار الأصدقاء[3]. عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[4].

إن الإنسان على عادة صاحبه وطريقته وسيرته فليتأمل ويتدبر من يخالل، فإن الطباع سراقة، والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده.

فمجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء. وعن أبي موسى (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك[5] وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبا، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثا"[6].

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم ١٠٩٠ ص ٢٢٧ وقال ابن حجر في فتح الباري ٢٩/٢٣: إسناده صحيح.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم ١٠٩٢ ص ٢٢٧ وقال ابن حجر في فتح الباري ٢٩/٢٣: إسناده صحيح.

(3) بدير، محمد بدير (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، ط٢، القاهرة: مطابع ابن تيمية، ص ٨٥.

(4) أخرجه الترمذي في الزهد ٥٨٩/٤ باب ٤٥ وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه أبو داود في الأدب ١٦٨/٥ باب ١٩ من يؤمر أن يجالس، وأخرجه أحمد في المسند ٣٠٣/٢ وقال الشيخ شاكر في التحقيق ١٧٨/١٥: إسناده صحيح.

(5) يجذيك: أي يعطيك: المعجم الوسيط ١٦٣/١.

(6) أخرجه مسلم في البر والصلة ٢٠٢٦/٣ باب ٤٥ مجالسة الصالحين، والبخاري في البيوع ١٦/٣ باب ٣٨ في العطار.

وفي الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل السوء وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع مذمومة.

وعن أبي سعيد أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: "لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي"[1].

٤- تأديبهم:

حين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة فلابد من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح والعلاج الحاسم هو العقوبة وبعض اتجاهات التربية الحديثة قد تنفر من العقوبة، وتكره ذكرها على اللسان، ولكن الجيل الذي أريد له أن يربي بلا عقوبة في أمريكا جيل منحل متميع مفكك الكيان[2].

إن العقوبة ليست ضرورة لكل شخص فمن كان ذا قدوة وموعظة فلا يحتاج في حياته كلها إلى عقاب، ولكن الناس كلهم ليسوا كذلك بلا ريب، ففيهم من يحتاج إلى الشدة مرة أو مرات وليست العقوبة أول خاطر يخطر على قلب المرء ولا أقرب سبيل، فالموعظة هي المقدمة والدعوة إلى عمل الخير، والصبر الطويل على إنحراف النفوس لعلها تستبين. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. وقال جل شأنه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: ١٠].

---

(1) أخرجه الترمذي في الزهد ٦٠١/٤ باب ٥٥ ما جاء في صحبة المؤمن وقال: حديث حسن، وأخرجه أبو داود في الأدب ١٦٨/٥ باب ١٩ من يؤمر أن يجالس، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٢٨/٤ وصححه الحاكم والذهبي.

(2) سعيد، عائشة عبد الرحمن (١٩٩١). **المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم**، جدة: دار المجتمع، ص ٣١٣.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ [التحريم: ٦]، قال مجاهد: أوصوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وأدبوهم[1]. قال القرطبي: "أنفسكم" يدخل فيه الأولاد لأن الولد بعض منه، فيعلمه الحلال والحرام، ويجنبه المعاصي والآثام إلى غير ذلك من الأحكام، فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يستغني عنه من الأدب[2]، فإن حسن الأدب يرفع العبد المملوك إلى رتبة الملوك.

وعن أبي سعيد الخدري (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة"[3].

٥- الدعاء لهم وتجنب الدعاء عليهم:

إذ ينبغي على الوالد ألا يحرم ولده هذا الفضل، وأن يمنحه كل دعوة صالحة تكون سببا إن شاء الله تعالى في هدايته واستقامته وبركته فينقلب الولد بها إلى الأفضل، ويصير مصدر خير وأمن وسعادة لوالديه وأسرته وجيرانه والإنسانية جمعاء[4].

قال سيدنا إبراهيم (عليه السلام): ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٤٠]. ودعا لنفسه ولولده إسماعيل ولذريته: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]. وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن - منها -

(1) أخرجه البخاري في تفسير القرآن ٦/٧٠ باب ٤ قوله تعالى (إن تتوبا إلى الله).
(2) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ١٨/١٢٧-١٢٨ في سورة التحريم.
(3) أخرجه أبو داود في الأدب ٥/٣٥٥ باب ١٣٠ في فضل من عال يتيما، وأحمد في المسند ٣/٩٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١٥٢.
(4) بدير، محمد بدير (١٩٩٢). **منهج السنة النبوية في تربية الإنسان**، ط٢، ص ص ٨٦-٨٧.

دعوة الوالد"[1].

وعلى الوالد أن يجنب نفسه الدعاء على ولده مهما أخطأ ومهما انحرف فإن كان لابد من الدعاء فليقل له لا عليك بأن يهديه الله، ويجبره بفضله، فلعل الله تعالى أن يستجيب دعاؤه عليه فيشفى الولد بذلك. عن جابر (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، ولا توافقون من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم"[2].

٦- احترامهم وتشجيعهم على الصراحة بالحق:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله (ﷺ) فقال: "أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا تؤتي أكلها كل حين"، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم – وفي رواية أخرى – فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم فسكت – فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله (ﷺ): "هي النخلة"، فقال قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال ما منعك أن تتكلم؟ قال: لم أراكم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا، قال عمر: "لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا"[3].

وفي الحديث التحريض على الفهم في العلم، ووجه تمني عمر (ﷺ) ما طبع الإنسان عليه في محبة الخير لنفسه ولولده، ولتظهير فضيلة الولد في الفهم من

---

(1) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٨٧/٢ باب ٣٦٤ الدعاء يظهر الغيب، والترمذي في السير والصلة ٣١٤/٤ باب ما جاء في دعوة الوالدين، وابن خزيمة في صحيحه ١١٣/٤ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢٠/٢.

(2) أخرجه مسلم في الزهد ٢٣٤/٣ باب ١٨ حديث جابر، وأبو داود في الصلاة ١٨٥/٢ باب ٣٦٢ النهي عن أن يدعوا الإنسان على أهله.

(3) أخرجه البخاري في تفسير القرآن سورة إبراهيم ٢٢٠/٥ باب ١ قوله كشجرة طيبة، ومسلم في صفات المنافقين ٢١٦٥/٣ باب ١٥ مثل المؤمن مثل النخلة.

صغره، وليزداد من النبي (ﷺ) حذوه لعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك زيادة في الفهم. وفي استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم ويرغبهم في الفكر والاعتناء، كما فعل ابن عمر لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها.

ومن ثم، يمكن من خلال إتباع المنهج التربوي النبوي لتربية الطفل الوصول به إلى تربية هادفة، ولا يصح اعتماد أسلوب الضرب والشتم والعنف كأسلوب من أساليب منع الطفل عن عادات معينة، أو أسلوب يتنافى مع المنهج الذي يراد اعتماده .. فإن الضرب والعنف سلبيات في كثير من الحالات.

فهو من جهة يطبعه بطابع العنف كأسلوب من أساليب الحلول للمشاكل التي قد يواجهها في حياته، وهذا يقوده لمواجهة الكثير من التحديات حين يتجه لعلاج أي موضوع أو قضية يفرض واقعه وحاجته علاجها. وذلك ينعكس سلبا على مختلف حالاته، وربما تكون عاملا من عوامل الفشل في مستقبله. وهو من جهة أخرى يبني نفسيته على الضغينة والحقد الذي يحمله تجاه من يعايشه من أهله، ولاسيما حين لا يستوعب دوافع القسوة تجاهه، أو حين يجد أن الآخرين لا يفهمون حالته ولا يستوعبون واقعه. ومن جهة ثالثة يخلق في داخله عامل الخوف والرهبة من الآخرين، فينطلق في اتخاذ قراراته الحياتية بفعل هذا العامل الذي ربما يقوده إلى الانحراف في تبني القرارات في مستقبله. كما ربما يقوده هذا الأسلوب لممارسة دور التحدي والتمرد برفض ما يطرحه الآخرون مهما كان موضوعيا وسليما حين يفسح له المجال للاختيار، تنفيسا عن الضغط النفسي الذي خلفه العنف في داخله حين واجهه وعاش حالته فيتحرك من باب الشعور بضرورة استرداد الكرامة التي امتهنت .. ولو كانت من خلال علاقته بأبويه، وأقرب الناس إليه.

من هنا لا مجال لاعتماد أسلوب العنف مع أبنائنا مهما كانت الدوافع، ففي الكثير من الحالات لا يعطي النتائج المتوخاة، بل ربما ينعكس سلبا على كل واقع حياته أو حياة الآخرين ممن يعايشه. فالعنف قد يخلق عقدة حادة في حياته تجعل كل

الواقع لديه معقدا صعبا. ومن الطبيعي أن المطلوب في مجال التربية هو تحقيق النتائج من خلال الدخول إلى نفس الطفل وترويضها خلقيا، لا بطريقة العنف. وهذا ما اعتمدته الرسالة في منهجها، فقد ورد عن رسول الله (ﷺ): "من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها فأوسع عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له منعة وسترا من النار"، وقوله (ﷺ): "أحبوا الصبيان وارحموهم"، وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقي رسول الله (ﷺ) فقلت: نعم الفرس لكما .. فقال (ﷺ): "ولنعم الفارسان هما.."، وقوله (ﷺ): "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدابهم"، إلى غير ذلك من كلمات الرسول (ﷺ) الداعية إلى الدخول إلى نفسه من خلال أسلوب المحبة والعاطفة والشعور بالمسؤولية تجاهه لا من خلال الشدة والعنف.

وليس معنى ذلك شمول هذا الحكم لكل الحالات. إذ قد يكون بعض الشدة علاجا يتحقق من خلاله نتائج إيجابية، فبعض النماذج لا تستكين إلا لأسلوب الشدة من خلال واقعها وتركيبتها النفسية. لكن لا بد قبل اللجوء إلى العنف من دراسة الواقع النفسي لدى الطفل، وملاحظة واقعه العاطفي والروحي، ومدى انسجامه مع الشدة وتأثره بها من دون أن تحقق سلبيات عليه. فإن بعض التركيبات النفسية لا محال لانسجامها مع الفكرة إلا بهذا الطريق، وهذا يفرض اللجوء إليه، شرط أن لا ينطلق الأب أو الأم في حركتهما التربوية الحادة متأثرين بعامل الانفعال والتوتر الذي يقود غالبا إلى تجاوز الحدود المرسومة. فلا مجال شرعا لمثل الأب الولي أن يضرب ولده أو يقسو عليه أكثر مما تفرضه الحاجة التربوية، وإلا فإنه يكون ظالما[1].

---

(1) فضل الله، محمد علي (٢٠٠٥). موقف الإسلام من العنف الأسري في المجال التربوي.
http://www.balagh.com/woman/nesa/utowvn 81.htm.

وفي ضوء ما تقدم، لابد من العمل على خلق حالة الشعور بالثقة بالنفس لدى الولد، بإشعاره بالكرامة والعزة والاحترام. فلا نحاول تعنيفه وتأنيبه أمام الآخرين حتى إخوته، حين يمارس أي دور خاطئ، مع أن المفروض فيه كطفل أن يقع في ممارسة بعض الأخطاء، لأن واقعه النفسي والفكري وضيق أفقه يفرض وقوعه في مثل ذلك. ولابد من إشعاره بأخطائه بهدوء، وحين لا يستجيب لمثل هذا التصحيح يمكن التشدد في معاملته حسب ما تفرضه الضرورة، شرط إشعاره بدوافع العنف الذي مورس معه، والإيحاء له بالضرر الذي يترتب على سلوكه الذي عوقب عليه. ولابد من الإشارة إلى ضرورة التعامل بصدق مع أبنائنا، فلا نمارس معهم أسلوب الغش والخداع والكذب، لأن ذلك مرفوض تشريعيا من جانبين: أحدهما حرمته في نفسه، وثانيهما تأديته إلى تربية الطفل على هذه الوسائل المنحرفة التي سيتلقنها ويتطبع بها، ولاسيما حين تصدر من أبيه الذي يعتبر مثله الأعلى. كما لا يصح تهديده بما لا ننفذه من وسائل العقاب، فإن ذلك سيفقد تأثيره عليه مستقبلا، ويجب أيضاً أن نمتنع عن ممارسة دور الهزء والسخرية به كي لا نخلق فيه الشخصية المهتزة الضعيفة المشوهة.